باسكوس

الحياة اليومية في مدينة ثغرية بالأندلس

تأليف

ريكاردو إثكييردو بنيتو

ترجمه من الإسبانية وعلّق عليه

الدكتور عبدالله بن إبراهيم العمير

الأستاذ المشارك بقسم الآثار بكلية السياحة والآثار

النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود

ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ - المملكة العربية السعودية

ح جامعة الملك سعود، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩ م

هذه ترجمة عربية مصرح بها من مركز الترجمة بالجامعة لكتاب:

VASCOS:la Vida Cotidiana En Una Ciudad Foronteriza De Al- Andalus
By: Ricardo Izquierdo Benito
© ١٩٩٩, Junta de Comunidades de Castilla- La Mancha

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للطباعة والنشر

بنيتو، ريكاردو إثكييردو

باسكوس: الحياة اليومية في مدينة ثغرية بالأندلس./ ريكاردو إثكييردو بنيتو؛ عبد الله بن إبراهيم العمير.- الرياض، ١٤٣٠هـ

٢٣٦ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٤-٤٨٨-٥٥-٩٩٦٠-٩٧٨

١- الأندلس- تاريخ إسلامي ٢- الأندلس- وصف رحلات

أ. العمير، عبد الله بن إبراهيم (مترجم) ب. العنوان.

ديوي ٩٥٣,٠٧١ ١٤٣٠/٣٥٧٢

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٣٥٧٢

ردمك: ٤-٤٨٨-٥٥-٩٩٦٠-٩٧٨

حكمت هذا الكتاب لجنة متخصصة شكلها المجلس العلمي، وقد وافق المجلس على نشره في اجتماعه الثامن للعام الدراسي ١٤٢٩/١٤٣٠هـ المعقود بتاريخ ١٤٣٠/١/١٤هـ الموافق ٢٠٠٩/١/١١م

إدارة النشر العلمي والمطابع ١٤٣٠هـ

مقدمة المترجم

حينما يستذكر المرء أطياف الحضارة الإنسانية في أصقاع المعمورة، تتبادر لذهنه على وجه السرعة صور عديدة لروائع حضارة المسلمين في الأندلس. تلك البلاد التي لبثوا فيها زهاء ثمانية قرون يشيدون فيها الصروح الحضارية التي لا تزال من أكبر الشواهد على عظمة تراثهم في قارة أوروبا.

فعندما وصل المسلمون إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، كانت تحفل بكثير من الآثار التي تعود لحضارات مختلفة كالإيبيرية والرومانية؛ بعض هذه الآثار ذات وظيفة دينية كالمعابد، وبعضها ذات وظيفة دفاعية كالقلاع والحصون، ومنها ذات الوظيفة المدنية كالقصور والمسارح والقناطر. ولقد حافظ المسلمون على هذه الآثار فانصهرت في حضارتهم الجديدة، بل طوروها وأضافوا إليها من الابتكارات والإبداعات التي تتواكب وروح الحضارة السائدة. وفي الوقت نفسه أخذت تتشكل معالم جديدة ترتكز في جوهرها على معايير إسلامية أصيلة، حيث نبعت وترعرعت أصول آثار هذه البلاد الثابتة والمنقولة من جذور إسلامية قد يراها المرء في معظم حواضر الأقاليم الإسلامية الأخرى، لكن حضارة بلاد الأندلس تفردت بمميزات أملتها ظروف عديدة، من أبرزها تتابع نماذج من الحضارات في حقبة تاريخية غير طويلة. إلى جانب توفر الإمكانات التي تساعد المعمار والفنان المسلم على الإبداع، لا سيما فيما يرتبط بالمواد الخام من الأحجار والرخام والأخشاب، وكذا توفر ما يتعلق بمشتملات البيئة المناسبة التي تدفع إلى التنوع والابتكار.

ولقد أولت العهود الإسلامية التي مرت ببلاد الأندلس اهتماماً بالغاً في مظاهر العمارة المختلفة المدنية والدينية والدفاعية. ولا تزال قائمة منذ تلك العهود شواهد معمارية حية تميز بين عهد وآخر. وعلى الرغم من قلة الشواهد المعروفة المتكاملة البناء في العصر الحاضر، كجامع قرطبة ومنارة إشبيلية وحمراء غرناطة، إلا أن هناك الكثير من الآثار الأندلسية المتناثرة في مدن وقرى إسبانيا. بل قد لا نبالغ إذا قلنا إن العمارة الإسبانية في معظم بلدان وسط وغرب وجنوب شبه الجزيرة الإيبيرية هي ذات طابع أندلسي يسهل تمييزه من خلال عناصرها المعمارية والزخرفية ذات الأصل الإسلامي المولود في إسبانيا.

ومما يؤسف له أنه عند التعرض لبلاد الأندلس في أي مجال من مجالات المعرفة فإن ضرب الأمثلة وطرح الشواهد ينصب على تراث عدد محدود من المدن الإسلامية في إسبانيا، لكن الواقع خلاف ذلك تماماً. إذ يحلو للكثيرين الحديث- في مجال العمارة على سبيل المثال- عن حواضر ومدن كبيرة وشهيرة كطليطلة وقرطبة ومالقة وغرناطة، في الوقت الذي تهمش فيه أعداد كبيرة من المدن والمواقع التي تحتوي على آثار إسلامية لا تقل أهمية عن آثار تلك الحواضر؛ سواء كانت مساجد أو منازل أو قلاع أو أسوار أو قناطر ونحوها. وفي هذا الصدد لابد أن توجه العناية لتلك المواقع المنسية لتبرز آثارها الحضارية كلما سنحت الفرصة لتناول حضارة المسلمين في الأندلس.

إن الشواهد الحضارية الإسلامية الشاخصة اليوم في بلاد الأندلس تعكس مدى تجذر هذه الحضارة في عمق التاريخ الإسباني من جهة، كما تعكس في الوقت نفسه مدى ما خلفته هذه الحضارة من آثار مطمورة تحت الأرض من جهة أخرى. وهذا الأمر يدفع بطبيعة الحال إلى الجزم بأن الكشف عن هذه الآثار وإماطة اللثام عنها مهمة

ليست يسيرة، وهو واقع يدرك أبعاده المنقب المهتم في هذا المجال. فقد بدأ اهتمام المعماريين والآثاريين المختصين بتراث الأندلس من الإسبان وغيرهم منذ وقت مبكر يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومع ذلك لا تزال أعمال التنقيب والترميم في بعض المواقع الإسلامية الأندلسية مستمرة حتى اليوم. حيث تمكنت جهود الآثاريين من الكشف خلال هذه العقود الطويلة عن كم من الآثار المعمارية الثابتة والتحف المنقولة المتنوعة، حتى تكونت حصيلة غنية من الكنوز القيمة شكلت بدورها المقتنيات الأساسية في العديد من المتاحف الإسبانية والعالمية.

وإذا كانت هذه الصورة المشرقة لبلاد الأندلس طوال العصور الوسطى الإسلامية، فإن الأمر لا شك يختلف بعد أفول نجم تلك الحضارة ومرور خمسة قرون على ذلك. حيث أصبحت الحضارة الأندلسية في رأي البعض مجرد صفحة في تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية، في حين يراها البعض الآخر مركز اتصال حضاري دائم بين الشرق والغرب، فكانت بمثابة الجسر الذي عبرت خلاله تأثيرات الحضارة الإسلامية إلى أوروبا.

وهذه المدينة الإسلامية الواقعة في منطقة طليطلة، التي يطلق عليها اليوم "باسكوس"، كرس لها الأستاذ الدكتور ريكاردو إثكييردو بنيتو ما يزيد عن ثلاثين سنة من الأعمال المتواصلة في البحث المكتبي والتنقيب الميداني، وذلك منذ العام ١٩٧٥م وحتى يومنا هذا. ولقد أسفرت أعمال التنقيب خلال العقود الثلاثة الأخيرة عن الكشف عن آثار إحدى المدن الأندلسية المهمة التي تعود إلى العصور الوسطى الإسلامية. وهي بذلك تشكل مع مثيلاتها من المدن والمواقع الأندلسية التي أميط اللثام عنها بواسطة معاول المنقبين سجلاً علمياً يوازي في قيمته العلمية ما تحفل به بطون الأوعية المكتوبة. بل إن هذه الاكتشافات الآثارية تعزز في كثير من الأحيان مصداقية ما

أوردته المصادر الإسلامية المعاصرة من معلومات قد يغلب على بعضها طابع المبالغة والإسهاب.

وتجدر الإشارة إلى أن مؤلف هذا الكتاب الموسوم بـ" باسكوس: الحياة اليومية في مدينة ثغرية أندلسية" تجنب إثارة أية حساسية ضد الإسلام أو المسلمين أو معتقداتهم؛ دينية كانت أو دنيوية، بل ركز على الوصف الواقعي لمجريات أعماله الميدانية، والتفسير المنطقي للتسلسل الطبقي أو التاريخي في الموقع. حيث نهج في مواضع ليست قليلة إلى عدم القطع الجازم حين طرح آرائه أو عرض مرئياته. فاستخدم معها مفردات تقبل الاستدراك مثل: ربما، ومن الممكن، ويحتمل، ونحوها، حيث إن معظم ما يعرضه من نتائج في هذه المرحلة يدخل في نطاق تفسير الظواهر الأثرية ومعطياتها، وهذا ديدن المنقب الذي يتوخى الدقة ويتريث إلى أن تتحقق الأهداف المرسومة لإنجاز مهامه.

والواقع أن رؤية المؤلف حول ما تناوله من مواضيع ذات صلة بحضارة المسلمين وآثارهم في الأندلس كانت رؤية موضوعية منصفة، على الرغم من أن خطابه موجه في الأصل إلى بني جنسه لا إلى المسلمين. وهكذا نجده يعمد إلى استخدام نماذج من المفردات العربية مثل: الرباط، والقبلة، والمحراب، والجرة، والمهراس، ويكتبها بالأحرف اللاتينية كما تنطق بالعربية.

وتأتي أهمية ترجمة مثل هذه الأعمال من جهة أنها كتبت بأيدي الذين تمكنوا من العمل ميدانياً في نطاقها، وعايشوا الكشف عنها على أرض الواقع، ومن جهة أخرى، أنها ستصبح رافداً متيناً للباحث في مجال العمارة والمدن الإسلامية وآثارها.

هذا ولابد من الإشارة إلى أن جميع التواريخ الهجرية المدونة في متن الترجمة، وكذلك الإحالات والتعليقات الواردة في حواشي الصفحات هي من عمل المترجم، حيث درج المؤلف على كتابة مراجعه داخل المتن.

وختاماً لا يسعني إلا أن أقدم جزيل الشكر والعرفان إلى جامعة الملك سعود ممثلة بمركز الترجمة الذي تبنى ترجمة هذا الكتاب ونشره باللغة العربية.

المترجم

المراجع المستخدمة في الترجمة

الباشا، حسن. *الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية*. جـ٢. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٣٨٥هـ.

بدر، أحمد. *دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة*. ط٢. (د.ن)، ١٩٧٢م.

بلباس، ليوبولدو توريس. *تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح حتى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)*. ترجمة: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون. مج٢، جـ٢. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م.

بالباس ليوبولدو، توريس. *المدن الإسبانية الإسلامية*. ترجمة: إليودور دي لابنيا. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٣هـ.

بروفنسال، ليفي. *الإسلام في المغرب والأندلس*. ترجمة: السيد محمود عبد العزيز سالم؛ ومحمد صلاح الدين حلمي. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٠م.

بروفنسال، ليفي، *تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)، والنظم والمؤسسات والحياة الاجتماعية والفكرية*. مج٢، جـ١. ترجمة: عبد الرؤوف البمبي وآخرين. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م.

الجمل، محمد عبد المنعم. *قصور الحمراء ديوان العمارة والنقوش العربية*. الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

الحكيم، أبي الحسن علي بن يوسف. *الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة*. تحقيق: حسين مؤنس. ط٢. القاهرة: دار المشرق، ١٤٠٦هـ.

الحجي، عبد الرحمن بن علي، *التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ - ٧١١-١٤٩٢م)*. ط٢. دمشق- بيروت: دار القلم، ١٤٠٢هـ.

حلاق، حسان. *تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي*. بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٨هـ.

الحموي، ياقوت. *معجم البلدان*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ.

الحميري، محمد بن عبد المنعم. *كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار*. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: مؤسسة ناصر للتراث، ١٩٧٥م.

ابن حيان، القرطبي. *المقتبس*. جـ٥. اعتنى بنشره: ب. شالميتا. مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة، ١٩٧٩م.

ابن حيان، القرطبي. *المقتبس من أبناء أهل الأندلس*. تحقيق: محمود علي مكي. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٣هـ.

الخشني، أبو عبد الله محمد حارث. *قضاة قرطبة*. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

روزي، رينهرت. *المسلمون في الأندلس*. ترجمة: حسن حبشي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.

الرصافي، معروف. *الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهيئات*. تحقيق وتعليق: عبد الحميد الرشودي. بغداد، ١٩٧٩م.

سالم، السيد عبد العزيز. *تاريخ مدينة المرية الإسلامية: قاعدة أسطول الأندلس*. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٩م.

سالم، سحر السيد عبد العزيز. *تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصور الإسلامية*، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، (د. ت).

صدقي، محمد كمال. *معجم المصطلحات الأثرية (إنجليزي- عربي)*. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٠٨هـ.

طوقان، فواز أحمد. *الحائر: بحث في القصور الأموية في البادية*. عمان: (د.ن)، ١٩٧٩م.

عثمان، محمد عبد الستار. *الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي: دراسة أثرية معمارية*. الإسكندرية: دار المعرفة، ١٩٨٨م.

عنان، محمد عبد الله. *الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال: دراسة تاريخية أثرية*. ط٢. القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٣٨١هـ.

عنان، محمد عبد الله. *الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية باللغتين الإسبانية والعربية مرتبة على حروف المعجم*. مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ١٩٧٦م.

غالب، عبد الرحيم. *موسوعة العمارة الإسلامية*. بيروت، ١٤٠٨هـ.

المغربي، ابن سعيد. *المغرب في حلي المغرب*. تحقيق: شوقي ضيف. ط٢. القاهرة: دار المعارف، (د.ت).

المقري، أحمد بن محمد. *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. تحقيق: إحسان عباس. (د. ط). بيروت: دار صادر، ١٤١٨هـ.

المنجد في اللغة والأعلام. ط٢٦. بيروت: دار الشروق، ١٩٧٥م.

ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر، (د. ت).

مؤنس، حسين. *فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١- ٧٥٦م)*. ط٢. جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ.

الهروسي، مصطفى. *المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري*. المغرب: وزارة الأوقاف، ١٤١٨هـ.

الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي. *المعيار المعرب*. الرباط: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٠١هـ.

تصدير

ليس من الضروري الاجتهاد في إبراز أهمية الوجود الإسلامي في تلك البلاد التي تشكل منها اليوم مجتمعنا المحلي. فهاهي الشواهد المعمارية والآثارية المتراكمة، التي تعد جزءاً من موروثنا الحضاري، تبرهن بشكل جلي على ذلك الماضي. فهناك العديد من المواقع الراهنة التي نشأت في ذلك التاريخ لا تزال تحتفظ ببصمات مميزة لتلك الفترة. وعلى العكس من ذلك هناك مواقع أخرى هجرت تماماً، وإن كانت تعج في ماضيها بنشاط حيوي. وبالرغم من ذلك فإن بقايا أطلالها لم تندثر بشكل كلي، كما أن أسماءها لا تزال معروفة، لاسيما أن بعضها ذو صلة وثيقة بتاريخ إسبانيا في العصور الوسطى. ومن هذه المواقع- على سبيل المثال- " قلعة رباح العتيقة Calatrava la Vieja " و " الأرك Alarcos " التي عمدت مستشارية التربية والثقافة في المنطقة إلى تمويل أعمال التنقيب الأثري فيهما منذ عدة سنوات، وقد أثمرت هذه الأعمال إيجاباً في هذين الموقعين الأثريين.

ويعد الموقع المعروف بـ " باسكوس Vascos " الذي يقع في دائرة "نبالموراليخو Navalmoralejo " بمنطقة طليطلة من أبرز المعالم التي تعود لموروثنا الإسلامي. وهي عبارة عن مدينة قديمة أنشأها المسلمون، ثم هجرت بعد ذلك في وقت متأخر. وإلى الأطلال المعمارية الباقية، مع شح المعلومات الموثقة عنها، إلى جانب المنظر الطبيعي المحيط بالموقع؛ يعزى تشكل ذلك المشهد الجذاب المليء بعلامات الاستفهام التي تصدر ممن يزوره ويقف على معالمه.

وفي صيف عام ١٩٧٥م بدأت أعمال التنقيب الأثري في الموقع تحت إشراف السيد ريكاردو اثكييردو بنيتو Ricardo Izquierdo Benito أستاذ تاريخ العصور الوسيطة في جامعة قشتالة- لامنتشا Castilla la Mancha ، بهدف محاولة إماطة اللثام شيئاً فشيئاً عن تلك الأسرار التي تلف الموقع. ومنذ ذلك الحين توالت مواسم التنقيب- الممولة من مستشارية التربية والثقافة- طوال هذه السنوات وحتى الوقت الراهن دون انقطاع. وخلال هذه المدة الزمنية تم الكشف عن أجزاء أساسية من هذه المدينة، وفي الوقت نفسه تمكنت تلك الأعمال الميدانية من استخراج كميات من المعثورات الأثرية المستخدمة في الحياة اليومية للسكان الذين عاشوا في هذا الموقع.

إن كل ما أشير إليه آنفاً يعد من وجهة نظر المستشارية مبررات كافية دفعتها إلى إقامة المعرض المخصص بمكتشفات المدينة، ومن ثم نشر الكتالوج الخاص بمعروضاته، وذلك سعياً منها لإتاحة الفرصة للناس لمعاينة النتائج التي تحققت حتى الوقت الراهن، مما يعكس أسلوب الحياة السائدة في مدينة أندلسية منذ ألف سنة، كما أنه في الوقت نفسه توجه يدعم التعريف بهذا الموقع الفريد في خصائصه.

ولا أرغب في إنهاء هذه الأسطر دون تهنئة البروفيسور إثكييردو بنيتو، وجميع الذين شاركوا معه طوال هذه السنوات في أعمال التنقيب الأثري. كما أنني أدعوهم لمواصلة أعمالهم التي يحققونها على الأرض لاستعادة جزء مهم من موروثنا التاريخي في منطقتنا.

خوستو ثامبرانا بينيدا

مستشار التربية والثقافة

الإهداء

إلى جميع أولئك الذين شاركوا بطريقة ما

أو بأخرى، في أعمال التنقيب الأثري التي

استمرت طوال هذه السنوات

المحتويات

مقدمة المترجم ..... هـ

المراجع المستخدمة في الترجمة..... ك

التصدير..... س

الإهداء ..... ف

مبررات إقامة المعرض ١

المدن في الأندلس ٥

مدينة باسكوس..... ٢١

تاريخ علاقتي العاطفية بالموقع في السنوات الأولى..... ٣٣

التنقيب الأثري ٤٧

الحياة في المدينة..... ٧٧

النتائج ١٢٥

المراجع..... ١٤٣

الكتالوج ١٤٥